

## الفصل التمهيدي تاريخ الإرهاب وخلفياته

ظاهرة الإرهاب كعمل من أعمال العنف تتسم بالوحشية، والبربرية العمياء، وما تبثه من رعب في النفوس تتعدى به حدود دولة معينة أو رقعة محددة، قديمة قدم التاريخ المكتوب ومع ذلك ففي الوقت الحاضر، وبعد ذبوع صيت الأعمال الإرهابية، بحيث اتخذت أشكالاً وصوراً عدة تم تركيز الانتباه على هذه الظاهرة بحماسة لم يسبق لها مثيل.

والإرهاب كان في جذوره الأولى عبر القرون البعيدة، عبارة عن أعمال فردية منعزلة وخارجة عن أي إطار أو تنظيم ولكن بعد اندلاع الثورة الفرنسية عام 1789 أصبح كنظام استخدمته الحكومة كأسلوب عمل ارتبط بالصبغة السياسية والتنظيمية.

ولقد ارتبط الإرهاب كذلك بنواحي شتى وخلفيات عديدة سياسية اجتماعية اقتصادية وعقائدية أو بكل هذه النواحي مجتمعة.

ولما كان كذلك فسنحاول التطرق في هذا الفصل التمهيدي إلى تاريخ الإرهاب وخلفياته، وكل ذلك في مبحث مستقل :

المبحث الأول: تاريخ الإرهاب.

المبحث الثاني: خلفيات الإرهاب.

## المبحث الأول تاريخ الإرهاب

سننطلق في هذا المبحث إلى جذور الإرهاب عبر القرون البعيدة والتي بدأت كأعمال فردية منعزلة ثم ظهرت بعد الثورة الفرنسية كنظام تستخدمه الحكومة كأسلوب عمل. وبتتبع هذه التطورات والحوادث التي صاحبت الإرهاب منذ نشأته، نتعرف على السوابق التاريخية التي كانت منطلقا ومبررا له. ونلمح بين كل مرحلة وأخرى اختلافا من حيث الأسلوب والأهداف والعناصر للإرهاب وهذا التطور كذلك لحقه تطور في المصطلح واللفظ ، وهذا ما سنبيّنه عند تطرقنا لتعريف الإرهاب.

وعليه فسنتناول في المطلب الأول الإرهاب ما قبل الثورة الفرنسية والذي ظهر كإرهاب فردي. وفي المطلب الثاني تاريخ الإرهاب كإطار أو تنظيم (أي الإرهاب ما بعد الثورة الفرنسية)، وأثر كل من حركتي الفوضوية والعدمية على ظاهرة الإرهاب في مطلب ثالث.

### المطلب الأول

#### الإرهاب ما قبل الثورة الفرنسية

إن الجذور الأولى للإرهاب الضاربة في أعماق التاريخ كانت في صور أعمال فردية من طرف أفراد منعزلين كأسلوب عمل لتحقيق مآرب ومصالح شخصية أو عقائد دينية تعبر عن فلسفات خاصة بكل فرد بواسطة السيطرة وبث الرعب في النفوس<sup>1</sup>.

بين عامي 66 و 73 ق.م ظهرت مجموعة من المتعصبين للدين عرفت باسم "الزيلوت" <sup>2</sup> Zelotes تكونت في فلسطين من جماعات السيكاري Sicari وهم قتلة مأجورين قاموا بعدة عمليات إرهابية بدافع ديني، وكانوا يهاجمون أعدائهم في وضح النهار، ويفضلون أن يتم ذلك أيام الأعياد حينما تكون الجماهير محتشدة في مدينة القدس، وكان سلاحهم المفضل سيفاً قصيراً (خنجر) يسمى Sica يخبئونه تحت ستراتهم<sup>3</sup>.

ولم يكتف أعضاء هذه الطائفة الدينية بقتل الأناس الأبرياء الذين لم يشاطروهم نفس المعتقدات فحسب، بل قاموا بحرق المحفوظات والسجلات العامة لحكومة الاستعمار آنذاك الإمبراطورية الرومانية<sup>4</sup>، وقد خربوا تمديدات المياه بمدينة القدس، وكانت حملت الاغتيال التي يقوم بها الزيلوت تقشع لها الأبدان،

فلم يكن ضحاياها من موظفي حكومة الاحتلال فقط، بل امتدت إلى السديوسيين<sup>5</sup> Sadducees، واليهود الآخرين الذين وصفوا ببلين الجانب نحو روما<sup>6</sup>.

كما أن الحشود البربرية التي غزت الإمبراطورية الرومانية وتسببت في سقوطها بين القرنين 3 و 6 م ما هي إلا مجموعات إرهابية نجحت حيناً من الدهر في تحقيق مشاريعها وأهدافها للوصول إلى سلطة طالت أم قصرت عن طريق استعمال العنف<sup>7</sup>.

1 - محمد مؤنس محب الدين، الإرهاب في القانون الجنائي على المستويين الوطني والدولي، مكتبة الأنجلو المصرية، سنة 1984، ص 53.

2 - الزيلوت لقب لمواطن يهودي متعصب دينياً ... حسب قواميس اللغة، أنظر في ذلك: محمد مؤنس محب الدين، نفس المرجع، ص 54.

3 - محمد عزيز شكري. الإرهاب الدولي، بيروت: دار العلم للملايين، سنة 1992، ص 22

4 - مصطفى مصباح دبارة، الإرهاب مفهومه وأهم جرائمه في القانون الدولي الجنائي، بنغازي: جامعة قار يونس، سنة 1990، ص 22.

5 - السديوسي: هو أي عضو في طائفة يهودية متزمتة وجدت زمن السيد المسيح، وكانت تنكر بعث الموتى أو وجود الملائكة وعكسه الغريزي؛ أنظر في ذلك: محمد عزيز شكري، مرجع سابق، ص 22.

6 - المرجع السابق، ص 22.

7 - مصطفى مصباح دبارة، المرجع السابق، ص 22.

كما نجد مجموعات الحشاشين التي تكونت في القرنين 12 و 13 م في إيران وسوريا والتي ينحدر أعضاؤها من الطائفة الإسماعيلية بغرب آسيا اعتنقت الإرهاب فكان أعضاؤها يتعاطون الحشيش ثم يرتكبون جرائم القتل وإشاعة الرعب في نفوس الناس بأساليب وحشية، واستمروا في ذلك إلى أن تم القضاء عليهم في القرن 12 م سنة 1256 بواسطة المغول، وقد تميز أسلوب هذه الجماعة بما يمكن تسميته بالإرهاب الغريزي حيث تأصل فيهم وأصبح غريزة لا علاقة لها بالتفكير مطلقا ولا حكمها المنطق أو العقل<sup>1</sup>.

وقد أرادوا الاحتفاظ بمعتقداتهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية فاصطدموا بالسلجوقيين القابضين بزمام السلطة في ذلك الوقت فعزموا على تصفيتهم والمؤسس الحقيقي لهذه الفرقة شيخ الجبل علاء الدين<sup>2</sup>.

وخارج إطار الجماعات شبه المنظمة، هناك العصابات المسلحة من اللصوص وقطاع الطرق التي كانت أساليبها ذات صلة وثيقة بالإرهاب.

فقد عرفت روما القديمة اللصوص وقطاع الطرق والقتلة المأجورين ومصدري المتفجرات لمواجهة قراصنة اليونان والتي عرفت بحرب القراصنة .

وفي أمريكا انتشرت أشكال إجرامية تميزت بالعنف وذات صلة وثيقة بالإرهاب تمثلت في عمليات السطو على البنوك، والقتل فقد كان آل كابوني وعصابته يشيعون الرعب في نفوس المواطنين وما كانت تسفر عنه التهديدات من قتلى كثيرين. ففي عام 1929 ارتكب رجاله مذبحة جماعية ضد خصومهم ومعارضيه في حصن سان \_ فالنتين حين حصدهم بوابل من طلقات المدافع الرشاشة.

كما ظهرت عصابات الخطف والابتزاز وأخذ الرهائن في الشرق الأوسط مثل (دلينجر)، وفي فرنسا كانت العصابات ترتكب جرائمها أثناء الاضطرابات بطريقة تعتمد على التخويف والترجيع، كعصابة (لويس دومنيك) والـص (جان رينارد) الذي قام بترويع جميع السكان في إقليم (شارتر)<sup>3</sup>.

1 - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق، ص 54.

2 - مصطفى مصباح دبارة. المرجع السابق ص 23.

3 - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق ص 56

وفي روسيا كانت جماعات (المائة السوداء) وهي جماعات إرهابية عملت ضد الثورة الروسية عن طريق إغتيال القادة وموجهي الحركة المعارضة للقيصرية في مقابل مزايا نقدية من قبل الجيش الأبيض.

ولقد إقترن الإرهاب بالأفراد تحت الزعامات القومية، واستخدمته جماعات اليمين واليسار في المجال السياسي بغرض تقويض أسس النظام القائم، وفرض سياستها بالقوة، وعليه فقد اختلفت الأساليب باختلاف الأفراد، فمنهم من أستعمل الدعاية بالفعل، ودفع شعار الموت والتضحية في عمليات انتحارية كما في رومانيا، كال Gardedefer «نحن نولد لكي نموت...». «إن الموت هو حفل العرس بالنسبة إلينا...».

ومنهم من استعمل وسائل الدعاية بالقول كإستخدام أفراد المجموعات اليمينية في فرنسا أعمال الرعب في الجامعات والمسارح (من خلال بث الرعب في نفوس أساتذة الجامعات ومؤلفي الدراما المخالفة لرغبات الشعب). أما جماعات الـ Clan\_Magael الأمريكية فقامت بعمليات تخريب المباني وتدمير الآثار (الفاند إليزم) وقد نادى مجموعات النازيين واليابانيين والنمساويين المتطرفين بقتل الصحفيين وأرسلوا إليهم الرسائل المتفجرة، واكتفى الفاشيست الإيطاليون بقوة تأثير زيت الخروع المركز لمعارضتهم إلى جانب السب والشتم.

ومهما يكن من اختلاف في الأساليب والأهداف التي تستخدمها كل جماعة سواء كانت دعاية بالقول أو الكتابة أو الرسم أو الدعاية بالفعل وإلقاء القنابل. أو كانت أهدافها تحقيق مكاسب شخصية دنيئة أو تقويض أسس النظام القائم وزعزعت السلطة الحاكمة، إلا أن هناك جانب مشترك يجمعهم جميعا وهو إثارة الرعب والخوف في النفوس<sup>1</sup>.

## المطلب الثاني

### الإرهاب والثورة الفرنسية

لئن كانت ظاهرة الإرهاب قديمة قدم الإنسان نفسه، إلا أن استعمال مصطلح الإرهاب le terrorisme للدلالة على أعمال العنف لم يبدأ إلا في أواخر القرن 18 مع قيام الثورة الفرنسية<sup>1</sup>. يعود تاريخ الإرهاب كإطار أو تنظيم إلى الثورة الفرنسية 1789 بسقوط الملك لويس 16 والقضاء على النظام الإقطاعي، فقد عرفت فرنسا مرحلة الإرهاب أثناء الجمهورية اليقوبية من 10 أوت 1792 يوم صدرت الدعوى إلى عقد مؤتمر وطني إلى غاية 27 جوان (يوليو) 1794 (9 ترميدور من السنة الثانية للجمهورية) وسقوط ماكسيميليان روبسبير، وهو أحد قادة الثورة اليقوبية، وأثناء هذه الفترة تأثر رجال الثورة اليقوبية في أفعالهم بتيارات فكرية وعقائدية كانت سائدة في فرنسا حينذاك.

فلقد كان لحركة التنوير أثرا محسوسا في تنمية روح النقد في المجتمع الفرنسي إيمانا بالعقل، وهو ما فتح المجال أمام رفض مفهوم السلطة الإلهية المتمثلة في الملكية المطلقة، وإن لم تستجب الجماهير الثورية وتستوعب كل هذه الأفكار فقد أثرت تأثيرا مباشرا على النخبة البرجوازية. حيث اقتبست منها ما يتماشى مع مطالبها ومواقفها المعادية للملكية المطلقة والنظام الإقطاعي، إلا أنه مع هذا الأثر العميق لهذه الفلسفات على قادة الثورة لا نجد فيها تلك الدعوة الصريحة لممارسة الإرهاب كما هو واضح في الأيديولوجية اليقوبية والمتمثلة في كتابات (روبسبير) و (سان جوست)<sup>2</sup>.

والذي أدى بهم إلى اللجوء إلى الإرهاب كأسلوب عمل، فالرغبة وسيلة حكم تقوم على الترهيب، فعندما قدم روبسبير تقريرا عن مبادئ الحكومة الثورية 1793 قال: « ليس علينا أن نزرع الرهبة في قلوب المواطنين، والتعساء بل في مخابئ المجرمين الغرباء، حيث يتقاسمون الأشلاء، وحيث يشربون دماء الشعب الفرنسي»<sup>3</sup>.

1 - اليقوبية: نسبة إلى اليقوبيين، وهم أعضاء المجلس الديمقراطي معتقوا الديمقراطية خلال الثورة الفرنسية، حيث كان هذا المجلس يعقد جلساته في دير الرهبان اليقوبيين.

أنظر في ذلك. د. محمد مؤنس محب الدين، مرجع سابق، ص 19.

2 - المرجع نفسه، ص 20.

3 - ثامر إبراهيم الجهماني، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي، دار الكتاب العربي. الجزائر: دار حوران السورية، جانفي 2002، ص 19.

وقد قال سان جوست " يجب أن تحكموا بالحديد أولئك الذين لا يمكن حكمهم بالعدالة"<sup>1</sup>.  
وعليه فقد وُظف مصطلح الإرهابيين عند الإشارة إلى روبسبير ورفاقه في ما يتعلق بلجنته الشهيرة " لجنة السلامة العامة" التابعة لمحكمة الرهبة.

ولقد أضفى على الإيديولوجية اليعقوبية طابعها الإرهابي حدثين هامين هما:  
أولاً: المرسوم الذي أصدرته قيادة الثورة اليعقوبية في 28 أوت 1792 والذي يقضي بمداومة المنازل لتجريد المشبوهين من السلاح مما أسفر عن اعتقال 3 آلاف شخص اتهموا بالعمل ضد الثورة وزج بهم في السجون.

ثانياً: مجازر 12 سبتمبر 1792، فقبل هذا الشهر بقليل اكتضت السجون بالمتهمين، وضافت المعسكرات بالسجناء والمعتقلين في مختلف ضواحي باريس، وقد كانت فرنسا في هذا الوقت تتعرض لهجمات من الأنظمة الملكية المحيطة بها (بروسيا، النمسا، بريطانيا).

وقد خشيت أن يؤثر النظام الثوري الجديد على أمنها الداخلي، فعندما هب الشعب الثوري لملاقاة العدو، أمر رجال الثورة بتصفية السجناء عملاً بنصيحة Marat أحد القادة السياسيين، ففي 12 سبتمبر 1792 هجم المسلحون على السجون الباريسية وضواحيها وقضوا على المساجين خوفاً من تعاملهم مع الأعداء أثناء إنهماك الثوار برد الهجمات الخارجية.

وأصبح العمل الإرهابي هو العدالة القاطعة التي لا ترحم أعداء الثورة وأعداء الجمهورية<sup>2</sup>.  
وبهذا الحدث بدأت صفحة الإرهاب السياسي في فرنسا، حيث اتخذ الطابع الرسمي القائم على المؤسسات.

وفي 5 سبتمبر 1793 عقد المؤتمر الوطني جلساته في باريس، وقد جاء في إحدى خطبه: «... لقد حان الوقت للمساواة كي تعمل منجلها فوق الرؤوس،... لقد حان وقت ترهيب المتآمرين....  
أيها المشرعون ضعوا الإرهاب في جدول الأعمال...».

ومنذ هذه اللحظة اعتبر الإرهاب كنظام للحكومة Systeme أضفت عليه الصفة الشرعية (شرعنة الإرهاب)<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن عبد الكريم الجزائري، الإرهاب والأصولية بين الأصالة والابتداء، الجزائر: مطبعة دار هومة، 2003، ص 15.

<sup>2</sup> - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق، ص 23.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 24.

وهكذا فقد ناهضت الثورة الفرنسية القوى الرجعية عن طريق تأسيس استبدادية شاملة جمعت الرهبان ولجنة الإنقاذ التي تكونت من العامة والتي كانت تتصرف وكأنها حكومة ثورية لها صلاحيات غير محدودة، كما شملت لجنة أخرى للأمن العام وجيش ثوري بناء على مرسوم 5 سبتمبر 1793 بهدف التصدي للذين يعتمدون إلى تخزين المواد الغذائية الضرورية والذين يتعاملون في السوق السوداء.

وهذه الوحدات من الجيش الثوري تتكون عادة من محكمة وضعت تحت تصرفها مقصلة بهدف تنفيذ أحكامها في الحال، كما اشتملت الإستبدادية اليعقوبية على لجان ثورية تعمل على المستوى المحلي بنفس المنهج الاستبدادي<sup>1</sup>.

وفي 1794/04/22 صدر قانون تقدم به روبسبير يعدل الإجراءات الجنائية أمام المحكمة الثورية، حيث مما جاء فيه إلغاء هيئة المحلفين والاستماع إلى الشهود وألغيت هيئة الدفاع وأصبحت الأحكام نهائية غير قابلة للطعن، ولم يترك لهيئة القضاة إلا خيار التبرئة أو الإعدام<sup>2</sup>.

وهكذا فقد كانت هذه المحاكم الثورية تعتمد في أحكامها على إيجاد (ذريعة ثورية مناسبة). ومن ثمة تطبيقها على المتهم<sup>3</sup>.

وعندما نحاول تحليل الإيديولوجية اليعقوبية نلاحظها مركبة من قسمين:

**الأول نظري:** ويتعلق بالمبادئ السياسية والاجتماعية، كالجمهورية الحرة، العدل والمساواة، الفضيلة.

**الثاني عملي:** يتعلق بالوسيلة (الغاية تبرر الوسيلة) فالإرهاب عندهم نظام قائم على الرهب يعتمده الذين في السلطة لتحقيق إيديولوجية معينة والدفاع عنها، وهذا هو إرهاب الدولة<sup>4</sup>.

وعليه فقد أعدم أكثر من 17000 شخص بعد أن صدر قرار الحاكم ضدهم، بينما أعدم أكثر من 25000 دون أن تتاح لهم أي فرصة للمحاكمة<sup>5</sup>.

1 - بليشيكوزادانوف، الإرهاب والقانون الدولي، ترجمة: المبروك محمد العويصي، ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، سنة 1994، ص 23.

2 - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق، ص 27.

3 - بليشيكوزادانوف، المرجع السابق، ص 25.

4 - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق، ص 28.

5 - بليشيكوزادانوف، نفس المرجع، ص 23.

ويتضح أن الإرهاب في هذه المرحلة قد تجاوز حدود كونه ردة فعل تلقائية تقوم بها الجماهير بدافع من الحماس الوطني المتزمت، وبإل أصبح وسيلة حكم تقوم على الترهيب، والذي انتهى بسقوط (روبسبير) إثر انقلاب عليه في 9 ترميدور 1794، الذي حوكم وأعدم في ساحة الثورة باعتباره إرهابياً<sup>1</sup>.

والملاحظ أن فرنسا عرفت كذلك بعد هذه الفترة ما يسمى بالإرهاب الأبيض<sup>2</sup>. والذي مر بمرحلتين الأولى عام 1795، عندما لاحقت جماعات من أنصار الملكية، اليعقوبيين فقتلت بعضهم رداً على إرهاب الآخرين (الإرهاب الأحمر) والثانية في أواخر 1815 عندما اتخذ شكل ردة الفعل الملكية على حكم المائة (100) يوم، فقد نفذت الحكومة عقوبات بحق أشخاص اعتبروا مسؤولين لمساعدتهم نابليون كالمارشال (ني) الذي أعدم في ديسمبر 1815<sup>3</sup>.

وهذا لا يعني أن الحكم الإرهابي الذي مارسه هؤلاء، كان أقل عنفاً وشراسة من سلفه، فلم يكن الفارق بين الإثنين سوى تبدل الأشخاص، وهذا ما

عبر عنه جوزيف دي ميستر Joseph de maistre (بعض المجرمين قتلوا بعض المجرمين)<sup>4</sup>. لكن خلال القرن 19 م طرأ تحول جذري على الإرهاب، فانقلب مفهوم الإرهاب التقليدي من كونه وفقاً على الدولة والسلطة القائمة إلى اعتباره إرهاباً شائعاً بين الأفراد والمنظمات. وكان ذلك بفضل حركتين أيديولوجيتين هما الحركة الفوضوية والحركة العدمية<sup>5</sup>.

### المطلب الثالث

#### ظاهرة الإرهاب والحركتان الفوضوية والعدمية

<sup>1</sup> - ثامر إبراهيم الجهماني، المرجع السابق، ص 19.

<sup>2</sup> - كان الإرهاب الأبيض من عمل الأمراء والسلاطين في عام 1795. وإبان فترة الحكم الثانية 1815، وقد أطلقت عليه صفة الأبيض لأن لون العلم الذي كان يرفعه الأمراء والحكام آنذاك كان أبيض؛ أنظر في ذلك: بليشينكوزادانوف، المرجع السابق، ص 23.

<sup>3</sup> - ثامر إبراهيم الجهماني، المرجع السابق، ص 20.

<sup>4</sup> - أدونيس العكرة. الإرهاب السياسي، بحث في أصول الظاهرة وأبعادها السياسية، دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت، سنة 1983 ص 38.

<sup>5</sup> - محمد مؤنس محب الدين، المرجع السابق، ص 29.

بعد اليقوبيين انتقلت ظاهرة الإرهاب من أيدي الحكام إلى المحكومين، وذلك يرجع إلى حركتين أيديولوجيتين هما الحركة الفوضوية والحركة العدمية. وقد كان تأثيرهما على مجرى الإرهاب وأوضاعه واحداً ومشتركا، فلم تكن كل من الحركتين تشكل مرحلة قائمة بذاتها في عملية التحول من مستوى الحكام والسلطة إلى الأفراد والجماعات.

### الفرع الأول: إرهاب الفوضوية le terrorisme de l'anarchisme

تجد هذه الأيديولوجية مصدرها في الأفكار الاشتراكية التي كانت سائدة في القرن 19. مع وجود أشكال عديدة للفوضوية قد تبدو متعارضة في بعض الأحيان، يحكمها تياران الأول يقوده (ماكس سترنر) 1806-1856 ويسمى بالفوضوية الفردية، والتيار الثاني يقوده المفكر الفرنسي (بيير برودون) 1816-1876 ويسمى بالفوضوية المجتمعية.

وعلى الرغم من اختلافهما فإنه يمكن الجمع بينهما في رفض السلطان بمختلف أشكاله سواء تتمثل في الأشخاص أو المؤسسات أو القوى التي من طبيعتها أن تسيطر على الإنسان فرداً أو جماعة، فكل تنظيم عندهم يحد من حرية الفرد وكل سلطة يجب إلغاؤها ومحاربتها، فهم في مواجهة مباشرة مع الدولة مفهوماً وواقعاً لأنها تمثل الحكم والسيطرة، فقد أعلى ماكس سترنر (أنا والدولة.....أعداء)<sup>1</sup>.

وقد تم نقل هذا الصراع من مجال النظريات إلى ميادين العمل الفعلي العنيف، ففتحت صفحة جديدة في تاريخ الفوضوية مع الإرهاب.

ففي ظل الأيديولوجية الفوضوية أصبح الأفراد يمارسون العنف ضد طبقة معينة من المجتمع وهي البرجوازية، أو ضد الحكام وضد المؤسسات، فالممارسة تكون من الأسفل إلى الأعلى (عكس الأيديولوجية اليقوبية) وذلك عن طريق استعمال وسائل من شأنها أحداث خطر يقوض أسس المجتمع ككل ويكون ذلك إما عن طريق:

**الدعاية بالقول:** عن طريق الكتابات والمقالات والخطب والاجتماعات وكانت تستهدف المجتمع ككل.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 32.

**الدعاية بالفعل<sup>1</sup>**: ويكون ذلك عن طريق إرتكاب سلسلة من الجرائم الخطيرة الهادفة إلى نشر الذعر والرعب بين الناس وإضعاف الروح المعنوية وترويع أجهزة السلطة وتقويض النظام السياسي والاجتماعي القائم.

ولعل أهم هذه الحوادث، حادثة المدعو Breschi قاتل الملك Umberto ملك إيطاليا عام 1900 بمساعدة جماعة إيطالية فوضوية، لجأت فيما بعد إلى ولاية نيوجرسي.

وقد أعلن الإرهابي الفوضوي (أميل هنري) أثناء إلقاءه قنبلة على مقهى (الترمينيس) بباريس «نحن لا نطلب الشفقة والرحمة في هذه الحرب التي هي دون رحمة والتي أعلنها على البرجوازيين» . وفي إسبانيا قامت حركة Manonegra لتحرك تمرد الفلاحين في الأندلس وبرشلونة عام 1909، وذلك بالإعتداءات والعنف الناجم عن المخاصمات والمشاجرات في العمل، وبمساهمة كبيرة من العناصر الإجرامية المعروفة باسم Pistoleros وهم لصوص وقطاع طرق.

وقد بدأت في أمريكا هذه الأعمال على يد الإرهابي (جوهان موست) الذي أعلن أن الطريق نحو الإنسانية يمر بالبربرية والوحشية وقد استخدمت أعمال التخريب والتدمير في ولاية شيكاغو. فالفوضوية إذن اتجهت إلى الإرهاب كنظام يقوم على الرعب والتخويف بهدف تدمير كل سلطة قائمة، وكل ما يمكن أن يكون بجوار السلطة من مؤسسات أو أفراد. والقانون في نظرهم ثمرة من ثمار السلطة، ولأنهم يرفضون الدولة والسلطة فإنهم يرفضون كل ما يصدر أو ينشأ عنها<sup>2</sup>.

### الفرع الثاني: إرهاب العدمية le terrorisme de nihilisme

كان لهذه الحركة تأثيرا كبيرا على الحركة الفوضوية المستمدة من التيارات الاشتراكية الثورية، وكانت تطلق على الفوضويين الروس.

والعدمية<sup>1</sup> تنادي بتحرير ذاتي يقوم به الفرد تجاه الأعراف والتقاليد، فالعدمي ليس ذلك الإنسان الذي يتمرد على الأعراف السائدة التي تحد من حريته، بل هو إنسان مخلص في جميع علاقاته الاجتماعية بشرط أن لا يكون هناك إمتياز لطبقة على أخرى وهو مستعد للتضحية حتى بنفسه.

<sup>1</sup> - لقد عبر الفوضوي كروبتكين عن الدعاية بالفعل بقوله: «... أنها تشجيع وتنشيط دائم ومستمر عن طريق الكلمة و الكتابة والمفجر والبنديقية والديناميت» أنظر محمد مونس محب الدين ، المرجع السابق ص 34.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 38.

تبنى الاشتراكيون الروس هذا المبدأ من الناحية النظرية وترجموه عمليا في شكل أعمال إرهابية مروعة تعدت أعمال الفوضويين الأوروبيين، وتجلت ذلك في أعمال المنظمة الإرهابية العدمية Narodnaia\_volia (النارودنايا فوليا) أي إرادة الشعب والتي نجحت بواسطة وحي كتابات (باكونين) في إغتيال القيصر (ألكسندر الثاني)، ونسفت الجناح القيصري في قصر الشتاء، وقامت بتصفية رجال الحكم وذلك من أجل الحط من مكانة الحكومة وإيهام الشعب بإمكانية النضال ضد السلطة من أجل إشاعة روح الثورية فيه.

وكان من خصائص الحركة العدمية ما تبينه بيانها المسمى بالشعبية Le PoPulisme الصادر في 1865 والذي دعا إلى الدعاية بين الفلاحين والحث على الثورة ضد الملاك والنبل والسطة بوجه عام.

وفي عام 1893 انعقد مؤتمر في مدينة ساراتوف ضم القادة الثوريين بمبادرة (كوتشاروفسكي) وقد أقر الإرهاب كمنهج للعمل الثوري.

إلا أن الحكومة تصدت لهذه الأعمال، وفي 1905/12/29 انضمت المجموعات الثورية كلها بلقائها في فنلندا وأقرت الإرهاب كعمل مضاد ضد إرهاب الحكومة.

بفضل هذا الأسلوب استطاعت الثورة بلشفية سنة 1917 أن تستولي على السلطة بعد أن لعب إرهاب المحكومين دورا هاما لأكثر من نصف قرن في تقويض النظام القيصري<sup>2</sup>.

\* وقد اختلف مضمون الإرهاب في الأيديولوجية الشيوعية عن الأيديولوجية الفوضوية، فقد قال لينين: « إن الفوضوية لم تقدم شيئا فهي مجرد مذهب فردي برجوازي مقلوب على رأسه، فالفردية هي القاعدة الفلسفية الفوضوية، إنها ترفض مبدأ الوحدة والتنظيم في السلطة، إنها نتيجة اليأس في تاريخ أوروبا الحديث.... ثم تسائل عن النتيجة التي أعطتها الفوضوية؟ وأجاب لا عقيدة، لا تعاليم ثورية....».

وقد أدخلت الأيديولوجية الشيوعية مقياسا جديدا لمضمون الإرهاب بوجه عام والإرهاب السياسي بوجه خاص، وهو مقياس الثورة والعدو الأيديولوجي.

<sup>1</sup> - العدمية: تعني الإنكار التام لكل عقيدة وكل إيمان بشيء، وأول من أطلق هذا المصطلح الشاعر الروائي (إيفان تورغينيف) في روايته

آباء وبنون التي نشرت عام 1862؛ أنظر في ذلك: محمد محب الدين مؤنس، ص 39.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 42.

إنه الإرهاب المرتبط بالعنف الثوري المنظم الذي يهدف إلى تصفية العدو الأيديولوجي لأنه مجرم أخلاقيا وتاريخيا وأيديولوجيا<sup>1</sup>، ويقول إنجلز في تحليله لهذه الظاهرة، بأنها تلعب دورا في التاريخ، فهي مولدة كل مجتمع قديم حالم بمجتمع جديد، أو هي الأداة التي تشق بمساعدتها الحركة الاجتماعية طريقها، وتحطم الأشكال السياسية الميتة المتحجرة.<sup>2</sup>

حتى أن المفكر سورال sorel إقترح تسمية قوة أعمال السلطة، وعنف أعمال الثورة، الأولى تقوم بها الدولة والثانية تقوم بها الطبقة الكادحة البرولتارية<sup>3</sup>.

وهكذا نرى كما أطلقت الرأسمالية على الثورة الشيوعية صفة الإرهاب، كانت الدول الغربية تتكل بالقوى العاملة وتزيد من اضطهادها وإحكام سيطرتها عليها، واصفة أي تحرك جماهيري بالإرهاب<sup>4</sup>.

\* بعد الحرب العالمية الثانية برزت حركات التحرر في دول العالم الثالث والتي كان يطلق عليها الغربيون بالحركات الإرهابية مثل الثورة الفيتنامية والثورة الجزائرية المجيدة (سنحاول أن ننسب العكس في هذا البحث، من أن حركات التحرر ليست حركات إرهابية).

ومنذ نهاية الستينات إلى الآن لا يزال الإرهاب يضرب في العديد من بقاع العالم، وسنورد أمثلة عن ذلك دون أن نسترسل كثيرا في هذا الموضوع الآن، لأننا فضلنا تركه لمبحث أشكال الإرهاب.

- ففي 08 ماي 1978 قامت مجموعة الألوية الحمراء باختطاف رئيس الحكومة الإيطالية ألدومورو Aldomoro ثم تقوم بقتله في أكتوبر 1981 ثم اغتيال الرئيس المصري أنور السادات في المنصة الشرفية أثناء الإستعراض العسكري السنوي.

- في 21 ديسمبر 1988 انفجرت طائرة الركاب Pan AM الأمريكية فوق مدينة لوكربي بإسكتلندا<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 49.

<sup>2</sup> - فريديريك أنجلز، دور العنف في التاريخ، ترجمة فؤاد أيوب، دمشق: المكتبة الاشتراكية للنشر والتوزيع، سنة 2000، ص 50.

4- jacques julliard , Réfléxiens sur la violence, paris, édition du seuil, avril,1990. P09.

<sup>4</sup> - ثامر إبراهيم الجهماتي. المرجع السابق ص20.

<sup>5</sup> - عبد الباسط العيدودي، تطبيق قانون مكافحة التخريب والإرهاب في الزمان، رسالة ماجستير، فر القانون الجنائي، غير منشورة، جامعة الجزائر، 1995، ص12.

- وفي 29 جوان 1992 تم إغتيال الرئيس محمد بوضياف بعنابة، حيث برزت ظاهرة الإرهاب في الجزائر على إثر إلغاء الإنتخابات التشريعية في جانفي 1992، وقد بلغ حجم الأعمال الإرهابية بالجزائر من سنة 1992 إلى سنة 1997، 55661 منها 26536 قتيلا، و21137 جريح، و16053 حالة اغتصاب، و26043 حالة اختطاف، و810 أعمال تخريبية للمؤسسات المدرسية، و2882 عملية حرق، وما تزال الجزائر تعيش هذه الظاهرة حتى اليوم<sup>1</sup>.

- وفي 11 سبتمبر 2001 هاجمت طائرات مدنية مخطوفة مركزي التجارة العالمية في نيويورك، ومبنى البنتاغون وهو ما عرف بأحداث 11 سبتمبر 2001.

## المبحث الثاني خلفيات الإرهاب

لقد كلفت الجمعية العامة للأمم المتحدة سنة 1972 لجنة خاصة بالبحث في الأسباب المؤدية إلى الإرهاب، وذلك حتى يتم من خلالها تحديد الوسائل الكفيلة بمقاومته أو الوقاية منه. ولقد توصلت هذه اللجنة إلى اعتماد ورقة عمل تناولت مجمل الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة وحسب رأيها فهناك.

(1) أسباب ذات طبيعة سياسية وتتعلق بالاستعمار والتمييز العنصري وحرب الإبادة والعدوان، واستخدام القوة بما ينتافى مع ميثاق الأمم المتحدة وينتهك الاستقلال السياسي للدول، ولسيادتها الوطنية واحتلال أراضي أجنبية والسيطرة عليها والتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.

<sup>1</sup> - الطيب نوار، تجربة الشرطة الجزائرية في مواجهة أعمال العنف، مداخلة خاصة بالملتقى الدولي حول العنف والمنجتم، من تنظيم جامعة محمد خيضر بسكرة، يومي 09، 10 مارس 2003.

(2) أسباب ذات طبيعة اقتصادية واجتماعية، وتشمل في استمرار نظام اقتصادي دولي جائر غير منصف والاستغلال الأجنبي لموارد الدول الطبيعية، وقيام دولة أجنبية بالتمير المنظم لبلد ولوسائل نقله وهيكله الاقتصادي، كما تشمل أوجه الظلم والاستغلال السياسي والاجتماعي والاقتصادي<sup>1</sup>. والملاحظ أنه في تفسير هذه الأسباب غلب عليها الطابع الدولي لأن تقرير اللجنة المختصة كان يتعلق بالبحث عن أسباب ودوافع الإرهاب الدولي. كما أنه إذا كانت هذه اللجنة قد حددت أهم العوامل التي تقف وراء ظاهرة الإرهاب، وهي عوامل ذات طبيعة سياسية واجتماعية واقتصادية، إلا أن ذلك لا يعني حصرها ضمن هذا الإطار فقط، بل تبقى محاولة لتحديد أبرز عوامل الإرهاب. لذلك سنحاول أن نبرز أهم هذه العوامل بشيء من التفصيل في المطالب الآتية:

### المطلب الأول الخلفية السياسية

إن الإرهاب السياسي يعتبر من أهم مظاهر الإرهاب وأكثرها انتشاراً على الإطلاق، حتى أنه يكاد يخفي وراءه جميع مظاهر الإرهاب الأخرى، والعوامل السياسية التي تقف وراء هذه الظاهرة، تخلق أهدافاً كثيرة ومتعددة يصعب وضعها تحت الحصر، لذلك سنكتفي بالإشارة إلى أهم عاملين، الأول على المستوى الوطني، والثاني على المستوى الدولي.

### الفرع الأول: تحكّم السلطة السياسية في الدولة

إن طبيعة النظم السياسية الداخلية على اختلاف أنواعها بما تمارسه من كبت ومصادرة لحريات الأفراد، وتكرها لأبسط الحقوق كالكرامة والعدل والمساواة، جعلت كثير من الشرائح والفئات

<sup>1</sup> - تقرير اللجنة المختصة بموضوع الإرهاب الدولي. الوثائق الرسمية للجمعية العامة، الوثيقة رقم (A/34/37) ص 20، 21؛ أنظر

مصطفى مصباح دبارة، المرجع السابق، ص 56.

الاجتماعية أن تنتهج طريق العنف، وترى فيه أكثر الأدوات فعالية لتدمير الزعامات المترتبة على السلطة وإرهابها والنيل منها.

إن الممارسات القمعية التي تقوم بها الأجهزة والمؤسسات القابضة بزمam السلطة تجاه أفراد المجتمع، أدت إلى التدهور المتزايد لحقوق الإنسان وهذا ما سجلته منظمة العفو الدولية في تقريرها السنوي لعام 1980 حيث جاء فيه (أنه منذ ستينات هذا القرن ارتفع معدل حالات الإساءة لحقوق الإنسان إلى أرقام قياسية لم يشهدها التاريخ البشري من قبل، وقد ساعد على إسدال الستار على هذه الأرقام التي تجسد حقيقة الجرائم التي ترتكب ضد الكرامة الإنسانية. الاضطهاد الإعلامي وفرض الرقابة الصحفية من جانب العديد من الحكومات، وكان من نتيجة ذلك احتجاز العديد من (مساجين الضمير) وراء قضبان السجون و في أقبية المعتقلات، والنظر إليهم على أنهم مجرمون يقومون بأعمال إجرامية تهدد الأمن القومي، وهو ما يتناقض مع المعاهدات والاتفاقات الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان التي تكون تلك الحكومات قد ارتبطت بها أو تدعي احترامها).

وكنتيجة لهذه الممارسات السلطوية، نشطت حركات العنف المضاد من قبل منظمات تتهم سلطة الدولة بأنها قوة إرهابية شريرة وتخطط للقيام بعمليات (إرهابية) تستهدف رجال الدولة والسلطة.

هذه المنظمات التي يزداد عددها يوما بعد يوم<sup>1</sup> ترمي من وراء هذه الضربات إلى تقويض أركان السلطة وإظهار عجزها أمام الرأي العام وتحطيم شعارات ومراسيم طقوس عبادتها<sup>2</sup>:  
فظلم واستبداد السلطة الحاكمة وخروج الحكام عن حدود الصلاحيات المخولة إليهم دستوريا، وخاصة في الأنظمة الديكتاتورية، إذ يقرر الحكام أن القوانين وأجهزة القضاء والتشريع التي تشمل

<sup>1</sup> - مصطفى مصباح دبارة، المرجع السابق، ص 59

<sup>2</sup> - من هذه المنظمات:

\* منظمة الجيش الجمهوري الإيرلندي ، وقاعدتها إيرلندا.

\* منظمة الباسك، وقاعدتها فرنسا وإسبانيا ويتركز نشاطها بشكل رئيسي في إسبانيا.

\* منظمة الجيش الأحمر الياباني وقاعدتها أوروبا الغربية.

\* الجماعة الإسلامية المسلحة (الجيا) ومقرها الجزائر.

\* الجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر.

\* منظمة الألوية الحمراء ومقرها إيطاليا.

\* منظمة بادرمينهوف (قيادة الجيش الأحمر) ومقرها ألمانيا الغربية. وهناك العديد من المنظمات الإرهابية التي تنشط في أماكن كثيرة من العالم. أنظر في ذلك: مصطفى مصباح دبارة. المرجع السابق ص 58.

المجالات السياسية، الاقتصادية، والحقوقية عاجزة عن فرض النظام الذي يريدونه، فتلجأ هذه السلطة إلى اتخاذ إجراءات تعسفية لفرض النظام دون الرجوع إلى سلطة مؤسسة أو تشريعية فلا تجد الحركات الإرهابية إلا اللجوء إلى العنف كرد فعل على إرهاب السلطة<sup>1</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن افتقاد السلطة الحاكمة للشرعية وللممارسة الديمقراطية يؤدي بالنظام الحاكم هذا إلى عدم الشرعية وعدم توافره على المشاركة الشعبية وعلى التأييد والمساندة من فئات الشعب إلى توفير الظروف الملائمة لنشأت وممارسة الإرهاب من جانب القوى المعارضة لهذا النظام باعتباره غير مشروع عن طريق التعبير بالعنف عن الآراء أو الأفكار والسخط بهذا الأخير<sup>2</sup>.

لذلك يمكن القول أم معظم العمليات الإرهابية غالباً ما يكون وراء ارتكابها دوافع سياسية كالانتهاكات المتكررة لحقوق الإنسان، التفرقة العنصرية، جذب الرأي العام العالمي إلى قضية تهم الجماعة من الجماعات العرقية، فالإرهاب هنا يصبح وسيلة لتحقيق الهدف، وفي الأخير فإن العمليات الإرهابية، ذات الخلفية السياسية هدفها إخبار سلطات الدولة على اتخاذ قرار معين يراه مرتكبي العمل الإرهابي محققاً لمصالح الإرهابيين<sup>3</sup>.

### الفرع الثاني: خلل النظام السياسي الدولي

إن من بين أسباب تنامي ظاهرة الإرهاب بوجه عام والإرهاب السياسي على الخصوص، هي وجود خلل في التنظيم السياسي الدولي، والمتأمل لهذا الأخير من خلال موثيقه وإعلاناته ومؤسساته المختلفة (مجلس الأمن، الجمعية العامة، محكمة العدل الدولية...) يلحظ عيوب شكلية وموضوعية في التنظيم حتى أن البعض بدأ يتنبأ بحتمية فشل هذا النظام كما حدث مع النظام الدولي إبان عصابة الأمم. فقد بدأت تتطلق الدعوات من كل صوب وعلى مختلف المستويات والأصعدة تتادي بإعادة النظر في ميثاق الأمم المتحدة بما يتلائم وحقوق الدول جميعها في المساواة والعدل، وتعديل القواعد القانونية المتعلقة بالمنظمات والهيئات والمؤسسات الدولية، وحثهم في ذلك.

<sup>1</sup> - آدونيس العكرة، المرجع السابق، ص 93.

<sup>2</sup> - عبد الناصر حريز، الإرهاب السياسي، دراسة تحليلية، بيروت: مكتبة مدبولي، ص 200.

<sup>3</sup> - أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيار، الإرهاب الدولي، باريس: مركز الدراسات العربي الأوربي، سنة 1998، ص 210.

- أن ميثاق الأمم المتحدة وضع قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية، وقد جاء نتيجة للظروف التاريخية السائدة آنذاك، ولقد مر عليه الآن سنين طويلة حدثت خلالها تغيرات هائلة في العالم، الأمر الذي يتطلب نظرة جديدة تساير ظروف العصر.

- لم يشترك في وضع الميثاق سوى 51 دولة كانت قائمة آنذاك، أما الآن وقد زاد عدد الدول الأعضاء في الميثاق بما يقرب عن 180 دولة، ومن المهم أن يعكس الميثاق وجهات نظر الدول الأعضاء.

- إن الأمم المتحدة لم تخلص من تسلط الدول الكبرى، وتشكل دول العالم الثالث الآن الأغلبية فيها لذا يجب إعطاء الفرصة لها لتلعب دورا فعالا في تسيير الأمم المتحدة.

- فالميثاق بالإضافة إلى اعترافه بالظاهرة الاستعمارية من خلال إقراره نظام الوصاية (الفصل 11 من الميثاق) فإنه يقر كذلك بعدم المساواة بين الدول، ويعطي حقوقا ومزايا لدول على حساب الأخرى كحق النقض (الفيتو).

إن استعمال هذا الحق من قبل الدول الكبرى نجده قد عرقل الكثير من القرارات التي من شأنها إقرار السلم والأمن الدوليين، فأساس هذه القرارات كان مبنيا على مبادئ ميثاق الأمم المتحدة ومبدأ من تقرير المصير وحماية حقوق الإنسان إلا أن النقض جاء عقبة أمام ذلك.

إن الأمم المتحدة التي آلت على نفسها في ديباجة ميثاقها « إنقاذ الأجيال من ويلات الحروب والاعتداءات والقضاء على مختلف أشكال الاستعباد والاستغلال » ، تتحمل القسط الأكبر من مسؤولية الاضطرابات وأعمال العنف التي تحدث في العالم، فعدم تحقيقها لمبادئها المتعلقة بالقضاء على الاستعمار والاضطهاد والعنصرية وإخفاها في تحقيق الاحترام الكامل لحقوق الإنسان وتأمين حرياته، الأمر الذي أدى إلى انتشار البؤس والحرمان وظهور اليأس والإحباط لدى كثير من الشعوب، وهذه عوامل تسهم في حدوث أعمال العنف.

إن فشل الأمم المتحدة في تحقيق التعاون الدولي المثمر، وفي حل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية، وإخفاها في ردم الهوة التي أخذت تتسع يوما بعد يوم بين الدول الغنية والدول الفقيرة، التي ما فتئت تعيش دون الحد الأدنى اللازم للحياة تليق بكرامة الإنسان.

وكذلك فشلها في إيجاد تسوية سلمية وعادلة لكثير من المشاكل الدولية التي جاءت نتيجة الاغتصاب والحرمان والظلم وفي مقدمتها الشعب الفلسطيني.

إن استمرار تمادي الدول الكبرى وعلى رأسها الو.م.أ في انتهاكها لميثاق الأمم المتحدة وللمبادئ المتعلقة بحق الشعوب في تقرير المصير وغيره من حقوق الإنسان .. الأمر الذي سيؤدي حتما إلى اللجوء إلى القوة والعنف أمام عدم جدوى الحلول القانونية السياسية في نطاق الأمم المتحدة هذه الصورة الحائرة فما هي إسرائيل تزرع الرعب في نفوس الشعب الفلسطيني وتنتهك حرمانه ودمه دون أن تبدي أي اعتبار لقرارات الأمم المتحدة، وأمام مرأى وصمت المجتمع الدولي وبدعم مفضوح من الو.م.أ وغيرها من الدول الموالية لإسرائيل، وفي المقابل تطلق هذه الدول على انتفاضة الشعب الفلسطيني الصامد بالعمليات الإرهابية.

و هاهي الو.م.أ تشن حرب عدوانية على العراق، دون أي تغطية شرعية من الأمم المتحدة، وتعتبر نفسها القوة الأولى في العالم ومن حقها أن تفعل ما تشاء للحفاظ على مصالحها على حساب الشعوب الأخرى.

أمام هذه العيوب التي تعترى هذا التنظيم السياسي الدولي (النظام العجوز) لعالم اليوم، فإن الشعوب المقهورة والمعتدى على حقوقها في ظل شرعية ظالمة، تجد نفسها مضطرة للاعتماد على نفسها والبحث عن مصادر القوة لفرض مطالبها العادلة والرد على سياسات الإرهاب بأسلوب العنف المضاد، وهو الأسلوب الذي أصبح متبع في عالم لا يأبه لغير أسلوب العنف<sup>1</sup>.

وهكذا نرى أن غطرسة الو.م.أ وتجبرها على العالم، سيؤدي بها حتما لأن تتعرض لعمليات عنف مضاد، ولعل أحداث 11 سبتمبر 2001 خير دليل على ذلك.

## المطلب الثاني

### الخلفية الاجتماعية والاقتصادية

لقد أصبح إنسان اليوم يعيش في عالم عنيف، عنيف في حلوله للمشاكل القومية وألوان التصادم بين الأقليات والأكثريات، عنيف في إيجاد حلول لمعضلات التفاهم اليومي والصعب بين الأجيال، بل أصبح عنيف حتى فيما يقدمه من خدمات وإمكانيات، حتى أن هناك من قال بأن قعقة الأماكن وضجيج السيارات وأزيز الطائرات ما هي إلا ألوان من العنف، وصخب الموسيقى هو الآخر لون من

<sup>1</sup> -مصطفى مصباح دبارة، المرجع السابق، ص 63.

ألوان العنف التي يتعرض لها الإنسان المعاصر، فضلا عن وسائل القصر التي جاءت بها النظم السياسية والأيدولوجية المستحدثة.

وهناك من يعزو ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة إلى تلاشي الفرد.

وذوبانه في آلية الحياة الميكانيكية من جهة وفي آلية الحياة الاجتماعية من جهة أخرى، فالفردية التنافسية في المجتمع الرأسمالي وتعاونية النمل في المجتمع الشيوعي، كلاهما وجهان لعملة واحدة، إنها التكنولوجيا في لا شخصيتها فشخصية الإنسان اندثرت معها، وهذا ما يتناقض مع الطبيعة البشرية، لأنه بوجود نظام اجتماعي ذو طبيعة من شأنها إعدام شخصية الإنسان هو أمر يتعارض مع النظرة البشرية، ومثل هذا التنظيم يخلق الثورة ضده من قبل الإنسان الذي يحتج على انسحاق شخصيته وذوبانه في الماديات التكنولوجية كأى آلة أخرى.

فيجد الإنسان نفسه منقادا إلى الاعتقاد بأن العنف (الإرهاب) هو الوسيلة الوحيدة لجلب الانتباه إليه كإنسان وسط مجتمع تحكمه العلاقات اللاشخصية التي يجد فيها نفسه.

فالإنسان يصر على أن يعامل كإنسان حتى ولو كلفه ذلك الاصطدام بشرطي وحمله على أن يهوى بهرواته على رأسه، ويأخذه إلى المحكمة في اليوم الموالي ليمثل أمام القاضي كإنسان مذنب<sup>1</sup>. إن انتشار الأفلام الخليعة والعنف وهبوط المستوى الإعلامي للتلفزيون والسينما والفن عموما، تعد من أسباب انتشار ظاهرة العنف<sup>2</sup>.

إن الحرمان الاجتماعي الذي يعني عدم قدرة المجتمع على استيعاب بعض الفئات استيعابا كاملا، يؤدي إلى نوع من العزلة التي يفرضها المجتمع على تلك الفئات، التي تحاول أن تتفوق في أماكن محددة ويسودها شعور بالاغتراب، وحتى يتم هذا الوضع المتردي يلجأ بعض الفئات إلى تشكيل المجموعات الإرهابية أو الانضمام إلى ما هو قائم منها سعيا منهم نحو تغيير تلك الأوضاع المتردية ومحاولة التخلص منها.

إذا كان هذا الأمر قائما في حالة الحرمان الاجتماعي، فإنه يبدو أكثر وضوحا في الحرمان الاقتصادي، فالفقر والحاجة المادية والملحة وعدم المساواة في توزيع الموارد والثروة، والفوارق

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 65

<sup>2</sup> - محمد موسى عثمان، الإرهاب أبعاده وعلاجه، بيروت: دار الطليعة للنشر، 1996، ص 20. أنظر كذلك أثر التلفزيون ووسائل الإعلام على تنامي ظاهرة العنف، توماس بلاس وآخرون، العنف والإنسان، ترجمة عبد الهادي عبد الرحمان، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1990، ص 89 وما بعدها.

الكبيرة القائمة في المجتمع، كل ذلك يمثل دافعا نحو ممارسة الإرهاب بهدف التخلص من تلك الأوضاع<sup>1</sup>.

حتى أنه في هذا الشأن ترجع بعض الباحثين إلى تنامي ظاهرة الإرهاب في الجزائر إلى تفشي الفقر والبطالة.

إن القوة المسيطرة على الإنتاج وعلى الاقتصاد تلزم مأجوريها طوعا أو كرها على أن يكونوا أدوات لتقنياتهم وعبدا لآلاتهم ومنفذين لما تمليه عليهم أجهزة وأنظمة لا يمارسون الإشراف عليها<sup>2</sup>.

إن قيمة الإنسان في العالم المعاصر تقاس بما يملك من مال وفيما ارتفعت قيمته ومن كان فقيرا فقد أي قيمة، وهذا ما يجعله يلجأ إلى العنف<sup>3</sup>.

كما أن الأوضاع الاستعمارية التي سادت في العصر الاستعماري أدت إلى وجود هوة واسعة بين الدول من حيث المستوى الاقتصادي، فانقسم العالم إلى دول فقيرة ودول غنية، فالدول الصناعية التي تشكل أقل من ربع سكان العالم تحصل على أكثر من ثلاثة أرباع الثروة العالمية، في حين أن الدول النامية التي يمثل سكانها أكثر من ثلاثة أرباع العالم تحصل على أقل من ربع هذه الثروة!؟

وعليه فقد أوجدت الأوضاع الاستعمارية انقساما بين دول العالم غني يتحكم في الثروة وفقير يزرح تحت نير الاستغلال والعبودية، إن الدول الفقيرة توشك أن تصبح معسكرات شاسعة للموت، إنه الاستعمار الجديد الذي تفرض فيه الدول الغنية هيمنتها على الدول الفقيرة، عن طريق ما يسمى بالشركات المتعددة الجنسيات، صندوق النقد الدولي، والبنك العالمي للإنشاء والتعمير، ومنظمة التجارة العالمية OMC .

إن شعوب العالم الثالث عندما تعي واقعها التعس سترفض سياسة التجويع والإرهاب الذي تفرضه عليها الدول الكبرى وعلى رأسها الو.م.أ.

1 - عبد الناصر حريز، المرجع السابق، ص 63. وانظر كذلك محمد فتحي عيد، "دور المؤسسات الاجتماعية والأمنية في مكافحة الإرهاب"، الندوة العلمية لمكافحة الإرهاب، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: 1999، ص 19.

2 - سالم إبراهيم بن عامر، العنف والإرهاب، ليبيا: المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، الطبعة الثانية، 1988، ص 41.

3 - المرجع نفسه، ص 45.

وستفرض المماثلة في منحها حقوقها الطبيعية في العيش في حياة حرة وكرامة، وهي لن تخرج من هذه القدرية إلا إذا اتبعت أسلوب الثورة والعنف المضاد، خاصة بعد أن جربت طويلا قيمة الإعلانات والمواثيق<sup>1</sup>.

كما قد يكون الدافع وراء العمليات الإرهابية هو الأضرار باقتصاد دولة معنية كتدمير منشآتها الصناعية والتجارية أو مهاجمة شركات الطيران أو المنشأة السياحية التابعة لها، لإثارة الذعر الرعب ويكون الهدف منها هو إنزال أضرار مادية بتلك المؤسسات لأنها تشكل موردا اقتصاديا، ومصدر من مصادر

الدخل الهامة للدولة، وقد يكون الدافع الحاجة إلى الدعم المالي الذي يمكنها من مواصلة عملياتها الإرهابية للوصول إلى الأهداف التي قامت من أجل تحقيقها<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث

#### الخلفية العقائدية

تمثل الاختلافات الدينية والمذهبية دافعا للأنشطة الإرهابية بحيث تتركز أقليات دينية ما في منطقة معينة، وحيث تمارس هذه الأقليات الدينية طقوس عقائدها وعبادتها على وجه مخالف، وقد يكون متعارضا مع الطقوس والشعائر الدينية للأغلبية الأخرى. وحيث يسود التعنت والتعصب أوساط بعض الأفراد يتكون الدافع إلى اللجوء إلى ممارسة الأعمال الإرهابية ضد تلك الأقليات، والتي تتجه بدورها لتشكيل مجموعات إرهابية مضادة للدفاع عن وجودها وكيانها، أو العكس.

ومما يجدر ذكره بهذا الخصوص إرهاب الكاثوليك في إيرلندا ضد البروتستانت وكذلك الإرهاب المعاكس من منظمات بروتستانتية ضد الكاثوليك.

وكذلك الأمر بالنسبة لطائفة التأميل ذوي الأصول الهندية وهم أقلية دينية عانت كثيرا على أيدي الأغلبية (السنهال) وما تمت ممارسته من أنشطة إرهابية من جانب كل طرف ضد الآخر.

<sup>1</sup> - مصطفى مصباح دبارة ، المرجع السابق، ص 69.

<sup>2</sup> - أحمد محمد رفعت وصالح بكر الطيار، المرجع السابق، ص 210.

وكذلك أعمال العنف التي تحدث بين الحين والآخر في الهند بين بعض العناصر الهندوسية والمسلمين ارتكازا إلى تعارض العقائد<sup>1</sup>.

كذلك الأعمال التي يقوم بها اليهود ضد المسلمين، فهي في رأيهم بأمر إلهي مفضل، أو حتى أعمال القتل فيما بينهم، كما صرح بذلك (ايغال عامير) قاتل رابين.

فالتعصب الديني في الديانة اليهودية واضح وجلي لا يحتاج إلى نقاش ويرفض التغيير والتعديل والنقاش، لأن المبدأ صادر من الله، وقد أورد الكاتب اليهودي \_ رئيس وحدة البحوث في جامعة تل أبيب \_ المبادئ التي تركز عليها أعمال العنف السياسية وهي:

1- إن للحركات الدينية المتعصبة اليهودية ميزة بارزة، فهي أولا مناهضة للديمقراطية من حيث جوهرها، لأن الإرادة الإلهية مفضلة دائما في نظرهم عن رأي الأغلبية، ولما لم يكن هناك حوار مباشر بين هؤلاء والله فإن تفسيراتهم الشخصية فيما يتعلق بالدين والله هي الملزمة والمحددة للأمر وليس بيد الجمهور أو الحكومة المنتخبة من قبل الشعب.

2 - أن لهذه الحركات وجهة نظر موحدة، وتعتمد عادة على إما معنا أو ضدنا إذ لا يوجد في نظرهم أي شيء اسمه الوسط.

3- في نظر المتدينين المتعصبين فإن الأمور والأحداث عادة ما تأتي من عند الله أو بإذن منه، وإن كل الوسائل معقولة ومقبولة بما في ذلك أعمال العنف.

وفي نفس الصدد، وفي ربيع عام 1942 وقف نائب في مجلس العموم البريطاني وهتف « أنا من أتباع كرومويل.... إنني مؤمن بأنه يجب أن نقتل باسم الله » ، ويرد عليه وزير الدفاع الجوي السيد (آرتشيبالد سنكلير) فيقول: « يغمرني الفرح عندما أكتشف أننا أنت وأنا متفقان تماما حول سياسة القصف الجوي التي ننفذها ضد ألمانيا ».

وقد صدر كتاب (سياسة الهستيريا عام 1964 من تأليف الأمريكيين (آرموند شيهان) و(وليام بفاف) حيث يقول المؤلفان بأن القتل باسم الله استخدمته بريطانيا في إغارتها على مدينة هامبورغ ليلة 27 جانفي وهو ما أسمته قنابل (عاصفة النار)، فأحرقت المدينة بأكملها<sup>2</sup>.

وإن كان البعض يرى أن المنظمات الإرهابية في الوطن العربي في معظمها تنظيمات إسلامية فبسبب أن الدين مقروء ومؤولا على نحو من الأنحاء مثل هو أيضا عاملا من العوامل المساعدة على

<sup>1</sup> - عبد الناصر حريز، المرجع السابق، ص 210.

<sup>2</sup> - ثامر إبراهيم الجهماني، المرجع السابق، ص 105.

جنوح هذه المنظمات إلى الإرهاب، ليس معنى ذلك ولا ينبغي أن يفهم أن الإرهاب يجد جذوره ومرجعه في العقيدة الإسلامية، - على نحو ما يذهب إليه البعض - .

بل معناه أن نسق القيم المنتشع بالدين لدى المجتمعات العربية يجد نفسه أحياناً في صراع مع منظومات جديدة من القيم، ويجد عسراً في التكيف معها، فيرجعها قسم من المجتمع بالبدعة والانحراف عن محجة النظام الديني والأخلاقي فيما يجنح بعضهم إلى تكفير المجتمع (الجاهلي) بعد تكفيره الدولة، ويعبرون عن كل ذلك العنف<sup>1</sup>، كما وقع في الجزائر من أعمال إرهابية، يعزوه البعض إلى التطرف الديني<sup>2</sup>، والذي كان نتاجه ضحايا عديدين على يد جماعات يملكون نزاعات جارفة، نحو التطرف، وهذا مكنم الخطورة، حيث أن العضو المنتمي لهذه الجماعة غالباً ما يكون تابعاً لفكر وآراء القائد الديني، وهذا الأخير غالباً ما لا يكون على علم ودراية بأحكام الشريعة ومقاصدها، أو على دراية بأساليب العمل الجماعي أو السياسي<sup>3</sup>.

- فقد عانت مصر من سنوات الجمر في قيام بعض الحركات الدينية إلى استخدام العنف والإرهاب كوسيلة للتعبير عن الاغتراب عن السلطة والمجتمع.

وهذا ما يحدث في الجزائر من مجازر رهيبية على يد جماعات مسلحة تلحقها الجهات الرسمية بالتطرف الديني.

وقد أرجع الدكتور محمد موسى عثمان أسباب الإرهاب (التطرف)، نذكر منها:

- الجهل برسالة الدين الحقيقية.
- نقشي الأمية والاضمحلال الثقافي والسطحي.
- عدم الاهتمام بالتربية الدينية في المقررات الدراسية وجعلها مادة هامشية.
- كثرة المساجد وزيادتها مع النقص الحاد والمستمر في الدعاة، الأمر الذي أدى إلى أن يعتلي المنبر من لا يقدر للكلمة قدرها، ولا يعرف من الأمور حقيقتها.
- الفهم الخاطيء والجهل باللغة العربية يؤدي إلى جهل بالأحكام الشرعية.
- الاستشهاد والاستدلال دون العمل والتطبيق والفهم الصحيح.
- الالتباس في فهم حقيقية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

1 - عبد الإله بلقزيز، "العنف السياسي في الوطن العربي"، مجلة المستقبل العربي، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 80.

2 - محمد أحمد بيومي، ظاهرة التطرف، الأسباب والعلاج، القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1992، ص 335.

3 - أحمد أبو الروس، الإرهاب والتطرف والعنف في الدول العربية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، سنة 2001، ص 25.

- الطاعة العمياء، والخضوع الكامل من السذج والجهلاء وهذه هي الأمعية<sup>1</sup>.  
ومرة أخرى لا علاقة للدين الإسلامي بالأمر، إلا من حيث هو نصوص ووقائع قابلة للتأويل،  
أما إذا كان ثمة خلل، فالبحث فيه ينبغي أن ينصرف إلى صاحب التأويل وإلى ظروف التأويل<sup>2</sup>، أيضا  
حين يعجز العقل عن الإقناع ويبدأ بعجزه عن الإدراك والفهم عن ممارسة عمله الأساسي، وهو  
الإحاطة بالأشياء التي حوله والعلاقات بينهما، ومتى أنغلق العقل تكلمت اليد، فسبب العنف هو تغيب  
العقل لعدم العلم أو عدم الفهم، أو عدم القدرة على التفكير، أو عدم القدرة على الذات<sup>3</sup>.  
خاصة ونحن في عصر اختلط فيه الحابل بالنابل وكثرت التهم الملتصقة بالإسلام وخصوصا  
مصطلح الإرهاب، لكن الحقيقة أكثر جلاء من هذا الواقع المزيف، فالإسلام بريء من كل التهم  
الملتصقة به براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام<sup>4</sup>.

فهنا كما يقول الأستاذ محمود صالح العادلي: "الإسلام كمسيرة حضارية، من الخطأ أن يقترن  
بالإرهاب لمجرد أن عناصر إرهابية نسبت نفسها إليه واقترفت جرائم يرفضها الإسلام... بل يجب أن  
يجازى الإسلام على ما وضعه من أحكام بالنسبة لجريمة، أو حد الحرابة<sup>5</sup>، نظرا لخطورة هذا السلوك  
على أمن المجتمع واستقراره، ولما فيه من خروج عن سلطان الدولة وترويع الناس، واعتداء على  
أموالهم وأرواحهم"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - محمد موسى عثمان، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> - عبد الإله بلقزيز، المرجع السابق، ص 81.

<sup>3</sup> - أحمد يسري، حقوق الإنسان وأسباب العنف في المجتمع الإسلامي في ضوء أحكام الشريعة، الإسكندرية: منشأة المعارف، سنة 1993، ص 13، 14.

<sup>4</sup> - ثامر إبراهيم الجهماني، المرجع السابق، ص 106.

<sup>5</sup> - الحرابة هي قطع الطريق، أو هي السرقة الكبرى، وإطلاق السرقة على قطع الطريق مجاز لا حقيقة لأن السرقة هي أخذ المال خفية وفي قطع الطريق يؤخذ المال مجاهرة. أنظر في ذلك، عبد القادر عودة، التشريع النائي الإسلامي، مقارنة بالقانون الوضعي، الجزء الثاني، سوريا: مؤسسة الرسالة، سنة 1986، ص 638.

<sup>3</sup> - محمود صالح العادلي، موسوعة القانون الجنائي للإرهاب، المواجهة الجنائية للإرهاب، الجزء الأول، الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، سنة 2003.

